قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبين خلال الفترة 480 146ق.م

نوال مغاري.
جامعة الجزائر02.

لم تكن قرطاجة في بداية أمرها دولة ذات نوايا توسعية أو استعمارية في بلاد المغرب القديم بدليل الطابع السلمي لنشأة المدينة [1]، فالتعاقد بين ممثل الأهالي الماكسيتاني والأميرة عليسة ممثلة الفينيقيين تم بطريقة سلمية و في اطر قانونية ، حيث التزمت قرطاجة بدفع ضريبة سنوية لرعي المكان الذي أقيمت عليه المدينة[2].

غير أن هذه العلاقات بدأت تأخذ منحى أخر على إثر السياسية الإفريقية الجديدة التي تبناها القرطاجيون والتي بدأت بالتنكر للضريبة التي إلتزمت بدفعها منذ تأسيس المدينة من جهة [3]،و بالتوسع في أراضي الليبيين ويذكر بوليب في هذا الصدد أن الأراضي القرطاجية امتدت عشية الحرب البونية الأولى من معبد الأخوين فلينوس إلى أعمدة هرقل غربا[4].

رغم إجماع المؤرخين على غلبة طابع الصراع في علاقات الطرفين في أعقاب معركة هيميرا إلا أن هذا لا يلغي وجود فترات من الهدوء والاتفاق في الفترة اللاحقة وذلك نظرا لعدة اعتبارات منها:

- ظهور الممالك الوطنية ،التي أخذت تلعب دورا في العلاقات الدولية من خلال المشاركة في الأحداث الجارية آنذاك وهي مملكة نوميديا بجزأيها ومملكة

---

(1) : Gsell (st), H.A.A.N, T.1,(paris,1921), pp 468-410.

(2) : Justin, (Junians Marcus), Abrégé des histoires philippiques de trogue pompée, textes établi et traduit par Marie Arnaud – lindet, a digital Library of latin littérature XVIII,4-6.

(3): Picard (G) et (C) ,vie et mort de carthage ,éd hachette ,(paris ,1970).p89.

(4): Polybe, , Histoire romaine, I, 273, trad. Denis ROUSSEL, éd. Gallimard, bibliothèque de la Pléiade, (Paris, 1970), III,30,2.

موريطانيا[1]وتنامي قوة الملوك الوطنيين [2] ،فضلا عن التغييرات التي بدأت تبرز في العلاقات الدولية،بظهور قوة ثالثة بدأت تسعى لفرض سيادتها في غرب المتوسط،وأخذت تنافس الإغريق القرطاجيين مما أعطى لليبيين مجالا للتحرك في هذا الفضاء الجديد،و تفطن قرطاجة إلى الموقع الجيوسياسي الحساس الذي تحتله الممالك الوطنية من جهة كما رغبت في أن تعد نفسها استراتجيا للعمل مع الليبيين في جبهة موحدة ضد الرومان،وهذا ما دفعها إلى التحالف مع الملوك الوطنيين و الدخول معهم في علاقات قرابة ومصاهرة وهي التي جعلت العلاقات السياسية أكثر صلابة [3].

- تنامي قوة الرومان في المنطقة خاصة بعد انتصاراتهم المتتالية في إسبانيا و رغبتهم في نقل الحرب إلى شمال إفريقيا .
- حاجة قرطاجة الماسة إلى الدعم اللوجيستي بالسلاح والجنود فالمعروف أن قرطاجة
- كانت تعتمد بشكل كبير على العنصر الليبي في حروبها خاصة عنصر المرتزقة لما يتميز به من قوة بدنية و مهارة حربية .
- إستئصال جذور الثورة ضدها خاصة في ظل الظروف الحرجة التي تعيشها .

هذه الأسباب و غيرها دفعت بقرطاجة إلى إعادة النظر في سياستها العدائية تجاه جيرانها الأفارقة و البحث عن سبل تمتين العلاقات معهم بما يخدم مصالحها وهذا بهدف ضمان تحالفهم الدائم معها .

هذا التقارب القرطاجي تجسد من خلال التنازل ل "غايا" ملك الماسيل على قطعة الأرض الحدودية،التي شكلت محورا للصراع بين الطرفين ،و التدخل لصالحه ضد سيفاكس ملك المازيسيل سنة 213 ق.م ،كما تعهد غايا بدوره بالتعاون المشترك مع قرطاجة ضد الرومان لذلك نجده يضع تحت تصرف الرومان جنده ،وانتظم الليبيون في الجيش القرطاجي على الشكل التالي:

---

(1): Gsell ,H.A.A.N, T.3, p172.

(2) : شنيتي(محمد البشير) ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر،1981)،ص 18.

(3) : فرحاتي(فتيحة) ، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 -46 ق م (،منشورات أبيك ، الجزائر،2007) ، ص 61.

الحلفاء :و هي القبائل و الأمراء التابعين لقرطاجة ،ويحفظ لنا التاريخ ذكرى العديد من التحالفات بين قرطاجة و الأمراء الليبيين و النومديين ،ومن ذلك تحالف الأمير ايلماس مع القرطاجيين أثناء غزو أغاثوكليس لشمال إفريقيا[1] ، وتحالف غايا وضمن لهم هذا الأخير دعما ب 2000 فارس نوميدي في إسبانيا والتحالف الشهير في تاريخ العلاقات القرطاجية الليبية مع سيفاكس،وكان ماسينيسا نفسه قائدا لأحد الفرق النوميدية في إسبانيا، وصل عدد أفرادها في 211 ق م الثلاثة ألاف مقاتل .

المجندون :و تعبر هذه الفئة عن الارتباط القانوني الذي أرسته قرطاجة مع المجال المكتسب بعد القرن الخامس ق.م ، وكانوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية و بدفع الضرائب ويتضح من خلال تركيبة الجيش القرطاجي الذي وجه إلى صقلية سنة 410 ق م حضور الليبيين كمجندين[2].

المرتزقة : وهم الجنود المتعاقدين مع قرطاجة بأجر،وتنتهي مدة خدمتهم في الجيش القرطاجي بمجرد نهاية العقد ، و المعروف أن قرطاجة إعتمدت بشكل كبير على هذا النوع من الجنود أولا لقوتهم البدنية و تمرسهم على الحروب في كل الظروف من جهة،و قلة العنصر البشري القرطاجي و طبيعته التجارية من جهة ثانية، فيذكر تيت ليف أن معظم المرتزقة الذين ضمهم جيش حنبعل كانوا ليبيين وكانوا محاربين أشداء[3] كما كان عددهم كبيرا جدا لدرجة أن بوليب ذكر أن النومديين شكلوا أغلبية الجيش القرطاجي في إسبانيا[4]

كما عملت قرطاجة على التقرب من سيفاكس ملك المازيسيل دون اعتبار للخلاف القائم بينه و بين مملكة الماسيل هذا بعد أن شعرت بتنامي قوته و سعي الرومان لربط علاقات عسكرية[5] معه ، ووجد سيفاكس في سياسة قرطاجة

---

(1): Diodore, Bibliothèque Historique ,trad. A. F. Miot,(Paris, 1934) XX,17 -1.

(2) : بورنية(الشاذلي) و محمد الطاهر ، المرجع السابق ، ص 200 .

(3) : Tite live , Histoire romaine, tard lasser (E) ,éd libraire Garnier frères ,paris (1950) XXIII ,18, 1.

(4) : Polybe, III, 15, 33.

(1) :Tite live ,XXVII,17.

الجديدة الفرصة المناسبة لإرغامها على التنازل عن إدارة الموانئ و المحطات البحرية الواقعة في إقليمه[1] لذلك سيعمل هو الأخر على التقرب منها دون قطع علاقته مع الرومان،فأعاد لها الأملاك التي انتزعها منها غايا أثناء حروبه معها وذلك سنة 220ق.م[2] .

رغم التوتر الذي طبع العلاقات السياسية القرطاجية الليبية خلال الفترة 480 -146 ق.م إلا أن ذلك لم يمنع من حصول تقارب في وجهات النظر بينهما لمواجهة الخطر الروماني بما كان يخدم مصلحة قرطاجة بالدرجة الأولى، والظاهر أن قرطاجة انتهجت سياسية الكيل بمكيالين تجاه جيرانها الليبيين بحيث لم تتمكن من ربط علاقات ودية مع هذه الممالك في نفس الوقت و لم تنجح في التوفيق بينها فتحالفها مع احد الأطراف يكون على حساب الأخر، فصداقتها لسيفاكس ما لبثت أن ساءت بسبب وقوفها إلى جانب غايا ملك نوميديا الشرقية إثر خلافه معه.

أما من الناحية الاقتصادية فمصادرنا لا تمدنا بالشيئ الكثير عنها باستثناء الناحية التجارية،فالعلاقات التجارية بين الليبيين و الفينيقيين ثم القرطاجيين من بعد تعود إلى فترة زمنية سابقة لمرحلة الإستطان في الحوض الغربي للمتوسط أي إلى مرحلة الارتياد الفينيقي لهذه السواحل في نهاية الألف الثانية ق.م ،ويحدثنا هيرودوت عن المبادلات التي تتم بين الطرفين بواسطة المقايضة ، حيث كان الفينيقيون يعرضون تجارتهم على المرفأ عند بلوغهم أرض الليبيين،ثم يشعلون نارا ليصعد منها الدخان ويعودون إلى مراكبهم ، وبمجرد أن يرى أولئك القوم النار يأتون ويضعون مقدارا من الذهب على الأرض مقابل تلك البضاعة ، ويبتعدون فيتقدم حينئذ القرطاجيون فإذا ما رأوا أن كمية الذهب مطابقة لثمن بضاعتهم أخذوه وذهبوا وإلا مكثوا في أماكنهم حتى يضيف لهم الزبائن في الثمن [3].

---

(2) :Decret (f) et Fantar (m), l'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au V éme siècle ,éd Payot ,(Paris,1981), p89.

(3) : Gsell (st), H.A.A.N, T.3, p183.

([3]): Hérodote, , Histoire, , tard et établi par P.H.E, éd les belles lettres, paris, (1948) I,199.

لم تكن المبادلات التجارية خلال هذه الفترة غنية و متنوعة ،غير أنها سرعان ما تطورت بعد تأسيس قرطاجة حيث أصبح الليبيون يفدون من مناطق مختلفة للتبادل مع القرطاجيين .

لم تكن التجارة القرطاجية مع الليبيين مقتصرة على السواحل ، إنما أقاموا خطوطا للتبادل التجاري مع المناطق الداخلية بوساطة ليبية[1] ،كما اهتموا بحماية المراكز التجارية في صبراتة و أويا و لبدة باعتبارها بوابة الصحراء من جهة و من جهة أخرى نظرا للأرباح الطائلة التي تدرها من خلال عائدات الرسوم الجمركية التي كانت تفرضها على السلع التي تصل مستوطناتها في لبتيس ماغنا (magna Leptis) وأويا Oea(صبراتة)[2]،لذلك سعت دون تغلغل الإغريق إلى هذه المناطق،فجعلت من مذبح الأخوين فلينوس حدا فاصلا بين ممتلكاتها والممتلكات الإغريقية،و يعتبر طريق الغرامنت أقصر طريق يربط هذه المناطق بفزان و الأقاليم الواقعة فيما وراءه وخاصة منطقة التشاد،وهو الأمر الذي مكن الغرامنت من السيادة على الوساطة التجارية بين سواحل و دواخل إفريقيا [3].

إختص الغرامنت بنقل المواد الثمينة إلى الساحل ،ومن أهمها العاج و جلود الحيوانات وريش النعام و الذهب والأخشاب الرفيعة النوعية وأحجار الملح إضافة إلى الذهب و مجوعة من الأحجار الكريمة،كان أهمها حجر العقيق الذي عرفه الإغريق باسم حجر قرطاجة (Escarboucles)، وبالرغم من انه كان يأتي من أرض الغرامنت إلا انه كان ينقل عن طريق تجار قرطاجة إلى الأسواق الخارجية،وجعل العديد من المؤرخين هذا الحجر السبب الأساسي في شهرة طريق الغرامنت[4] .

أما الذهب،فكان ينقل عبر طريقين أساسيين هما:طريق الغرامنت من فزان إلى طرابلس وطريق من النيجر إلى سجلماسة في المغرب الأقصى [5]،كما كان

---

(2): مصطفى(كمال عبد العليم)، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، (بنغازي، 1966) ص 68.

(3) : بشاري (محمد الحبيب)،دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146 ق م و 285م،رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ،2006-2007)، ص 33.

([3]) : مصطفى(كمال عبد العليم) ،المرجع السابق ، ص 67

(1) : مصطفى (كمال عبد العليم)، المرجع السابق ،ص67.

(2) : نفسه، ص 68 .

طريق الغرامنت إحدى المعابر الأساسية لتجارة العبيد، وفي مقابل هذه السلع كان الليبيون يتحصلون على الفخار الأثيني وأباريق الخمر وقوارير العطور الفنيقية والأدوات الزجاجية المصرية الصنع إضافة إلى الأقمشة والأسلحة البرونزية و الأواني الفضية، ولا شك أن المدن الداخلية مثل جرمة و غدامس إستفادت من هذه التجارة كما إستفادت منه مدن الساحل التي كانت مراكز تبادل تجاري بين سلع الشمال وسلع دواخل إفريقيا [1] ويبدو من الطابع السلمي لعملية التبادل وجود نظام معين لتنظيم عملية النقل بالقوافل،وتوفير الأمن لها فقد كان التجار وأصحاب القوافل عرضة لقطاع الطرق وهجمات بعض القبائل المفاجئة[2] ،ويحدثنا ديودور الصقلي عن طائفة من الليبيين يعيشون على النهب والسلب ويشنون غارات مفاجئة من مراكزهم عبر الصحراء ثم ينسحبون سريعا من حيث أتوا متنكرين في جلود الماعز وكانوا يتسلحون بثلاثة رماح وقطع من الحجارة [3]

أراد القرطاجيون بعد ذلك الوصول إلى هذه المراكز دون مساعدة قبائل الغرامنت فأوفدوا البعثات الكشفية لمحاولة الكشف عن الطرق المؤدية إلى المراكز التجارية في أواسط إفريقيا ،و لا نعرف من التفاصيل ما يساعد على تبيان مدى ما وفق إليه القرطاجيون في هذا الصدد رغم انه من المستبعد أن يكونوا وفقوا في تحقيق هدفهم نظرا لقوة الغرامنت وسيطرتهم على الطرق التجارية،كما حاولت الوصول إلى مصادر أخرى للمواد الأولية وخاصة الذهب من خلال تنظيمها لرحلة حانون باتجاه السواحل الغربية لإفريقيا حوالي 425 ق م ،وهي الرحلة التي خلدها نقش عثر عليه في معبد بعل حامون في قرطاجة ومن جملة ما جاء فيها أنه أبحر على رأس ستين سفينة تقل أزيد من ثلاثين ألف شخص ، وهو الرقم الذي يعكس الأهمية التي أولتها قرطاجة لمثل هذه الرحلات الإستكشافية.

لقد كانت المبادلات قبل عهد ماسينيسا تتم عن طريق المقايضة و كانت طبيعة التبادل في البداية تقوم أساسا على المقايضة ، وكانت الأمانة أساس التعامل الاقتصادي بين الطرفين،لتتوسع دائرة المبادلات بين الطرفين بعد قيام الممالك

---

(3) : نفسه، ص ص 68 69.

(4) : Bates, the eastern Libyans, frank Cass and co – ltd, London, 1970, p 105.

(5) : Diodore, III, 49,3.

الوطنية ، وتطورت أكثر عقب صك النقود في المنطقة ،بدليل العدد الكبير للنقود القرطاجية التي عثر عليها في تيديس و القل و سيرتا([1]) .

العلاقات الاجتماعية:

اقترنت أسطورة تأسيس قرطاجة بطلب ملك الماكسيتاني هيرباص يد الأميرة عليسة للزواج[2]،ورغم رفض هذه الأخيرة وتفضيلها الانتحار بدعوى الإخلاص لذكرى زوجها، إلا أن هذا لا يلغي احتمال وجود زيجات سابقة بين الليبيين و الفينيقين وربما يكون هو الدافع الذي أدى بهيرباص إلى طلب يد الأميرة[3]،

يفسر قزال ظاهرة الزواج المختلط بين الطرفين بانفتاح القرطاجيين وعدم تعصبهم للدم [4] فقد كان هملكار ماقون ابنا لامرأة سرقوسية وصدر بعل صهر هملكار برقة تزوج بامرأة ثانية من اسبانية كما اتخذ حنبعل برقة زوجة إسبانية،ولا يقتصر الأمر على القرطاجيين فقط فقد كان الليبيون بدورهم منفتحين على الأمم الأخرى.وحسب قزال دائما فان الزواج المختلط انتشر على نطاق واسع في العاصمة البونية أكثر من المناطق القرطاجية الأخرى الممتدة ما بين السرتين و ما وراء أعمدة هرقل[5]، ولا يستبعد أن يكون ذلك بتأثير من العوامل السياسية فقد ارتبطت العديد من الزيجات بالتطورات السياسية الحاصلة في المنطقة فكثيرا ما كان القادة القرطاجيين يلجأون إلى تدعيم تحالفاتهم السياسية مع القادة الليبيين بالروابط العائلية على غرار وعد هملكار برقة للأمير نارافاس بتزويجه بإحدى بناته في حال وقوفه إلى جانبه في ثورة الجنود المرتزقة[6]،كما وعد ماسينيسا بالزواج من سوفونيزب إبنة صدر بعل،لكن سرعان ما ألغيت الخطبة بدافع العديد من التطورات السياسية وزوجت لسيفاكس ملك المازيسيل،و سبق لأوزالسان جد

---

(1) : Gsell, H.A.A.N, T2 ,p154.

(2):Justin ,XVIII,5-6.

(3):Gsell ,H.A.A.N, T.4, p 465.

(4): Ibid ,p 172-173.

(5) :Ibid .

(1):Polybe ,I,78.

ماسينيسا أن تزوج بإبنة أخت حنبعل[1]،وهي نفس الفتاة التي سيتزوجها الأمير الليبي مازايتول الساعي للحيلولة دون وصول ماسينيسا إلى العرش.

لكن هذا لا يعني أن كل الزيجات كانت لخدمة أغراض سياسية، كما أنها لم تقتصر تزويج القرطاجيين لبناتهم من ليبيين بل حتى أن الليبيين زوجوا بناتهم للقرطاجيين فماسينيسا نفسه زوج إحدى بناته لأحد أفراد الطبقة الارستقراطية القرطاجية ،وامتد هذا النوع من الزواج المختلط ليشمل العامة بدليل العثورعلى العديد من الأسماء المزدوجة الليبية القرطاجية في القبور القرطاجية.

ساهمت العلاقات الاجتماعية في تبادل الزيارات بين الطرفين كما فتحت المجال أمام الليبيين للإقامة في قرطاجة والتكون فيها،فقد عاش العديد من الأمراء الليبيين في بلاط القرطاجيين و تكونوا فيها و نهلوا من منابع الفكر و الحضارة القرطاجية و شاهدوا عظم الحضارة القرطاجية فتأثروا بها[2] ومن بينهم ماسينيسا الذي قال عنه بوسكي [3] (Bosquet) بأنه "بونيقي شكلا و مضمونا".

كما أدى إندماج القرطاجيين و الليبيين في حضارة واحدة إلى إفراز تجربة دينية جديدة مستوحاة من تقاليد فكرهما الديني إحتلت فيها آلهة الخصوبة بعل حمون و تانيت السيادة الدينية، كما اشتركا في جميع التقاليد الدينية المرتبطة بعبادتهما.

وتؤكد الابحاث مدى سعة وسهولة إنتشار عبادة بعل حمون في ليبيا بحيث تعددت المعابد الخاصة به والأنصاب النذرية الموجهة إليه ما جعله يكون بلا منازع الإله الأعلى للمنطقة ، بحيث تعددت المعابد الخاصة به والأنصاب النذرية الموجهة إليه ما جعله يكون بلا منازع الإله الأعلى للمنطقة ، ورغم ظهور الآلهة تانيت إلى جانبه في العديد من النقوش إلا أنها لم تسجل نفس الحضور الذي حققه بعل حمون في عديد المناطق البونية لتكتفي بالسيادة في مدينة قرطاجة .

---

(2):Tite live ,XX ,12,29.

(3) :Basset(H), "les influences puniques chez les berbères", R.afr, t62, (1921),p345.

(3) :Bosquet(G H),les berbères ,press universitaire de France ,éd que sais je ? (France ,1974) ,p110.

أما عن طريقة توجيه النذور فتبدأ عادة بذكر الإله المعني يليه النذر ثم صاحب النذر ومهنته و أخيرا يختم بطلب المباركة من الإله ،على شكل النموذج التالي من معبد الحفرة بسيرتا :

ل ا د ن ل ب ع ل ح م ن ا

ش ن د ر ع ب د ا ر ا م

ب ن ع ز ر ب ع ل ش م ع ق

ل ا ب ر ك ا

بمعنى : " **للمولى بعل حمون ما نذره عبد رامي ابن عزر بعل ،سمع قوله فباركه**"[1].

يلاحظ من خلال هذا النذر إستعمال الليبيين لتسميات مرتبطة بالديانة البونيقية على غرار عزر بعل و مستنبعل وأذربعل وغيرها من الأسماء .

أما عن القرابين المرتبطة بعبادة هذين الإلهين،فتتمثل أساسا في القرابين البشرية ،وقد أثار هذا الموضوع الكثير من الجدل في الأوساط العلمية إلى غاية عام 1921 ،أين كشف الستار عن العديد من الجرار المملوءة بالبقايا البشرية في معبد صلمبو أغلبها لمواليد جدد تعلوها أنصاب نذرية ،و إهداءات قدمت على شرف الإلهين تانيت و بعل حمون،وهو ما أكد حقيقة هذه الممارسة [2]،وسبق وأن أكدت المصادر الكلاسيكية على انتشار هذه الظاهرة في الأوساط القرطاجية،بدليل إقدام الأميرة عليسة مؤسسة قرطاجة على التضحية بنفسها في سبيل أن تحيا قرطاجة[3]،و كما أشارت التوراة إلى مثل هذه الممارسات في سفر أراميا[4] وسفر الملوك الثاني[5]،هذا وقد ارتبطت هذه الظاهرة بدرجة كبيرة بالحرب والكوارث بدليل إقدام القرطاجيين على التضحية بأزيد من 300 طفل من أطفال الطبقة الارستقراطية إثر حملة أغاثوكليس على شمال إفريقيا[6]،كما مورست بهدف طلب

([1]): نادية يفصح ، آلهة الخصب البونية ،رسالة ماجستير (جامعة الجزائر ،2003-2004)،ملحق 15.

([2]) : نادية يفصح،المرجع السابق، ص 40.

([3]) : Justin, XVIII,6.

(4):سفر أراميا ، الإصحاح 31.

(1):سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 16 الآية 10 -23

(1) : Diodore, XX, 14.

العناية الإلهية ، وامتدت هذه الظاهرة لتشمل المدن التي بلغها التأثير البوني،حيث كشفت الأبحاث الأثرية في سيرتا وقوراية عن تأثر الليبيين بهذه الظاهرة،غير أنهم انفردوا عن القرطاجيين بتزويد ضحايا القرابين البشرية بالأثاث الجنائزي عكس القرطاجيين(1)،رغم إقدام القرطاجيين حوالي القرن السادس إلى تبديل القرابين البشرية بالقرابين الحيوانية و النباتية كالحبوب و الزيوت و الخراف و الدواجن إلا أن هذه الظاهرة لم تختف تماما فقد استمرت إلى غاية العهد الروماني(2).

أما عن طريقة تقديم هذه القرابين،فإنها تتم ليلا في إحتفالات خاصة يحضرها جمع غفير من الناس،ويحيها موسيقيون وراقصون يصدرون أصواتا مخيفة يتخللها نواح الأولياء على فلذات أكبادهم(3)،ثم يتسلم الكاهن الطفل المضحى به،ويوضع بين يدي الإله الموجهتين إلى الأسفل نحو نار موقدة ،فيقع الطفل ويضع رماده في جرار أو مرامد(4). ولتكريس عبادة آلهة الخصب البونية في قرطاجة وليبيا شيدت لها العديد من المعابد كمعبد هدروموتوم وعين توتة قرب الكاف وهنشير و معبد الحفرة بسيرتا،وسمحت الأبحاث الأثرية في الكشف عن نقود تحمل صورا لواجهات العديد من المعابد و الآلهة البونيقية على النقود النوميدية(5).

الطقوس الجنائزية :

نقصد بالطقوس الجنائزية كل ما يدخل في دائرة التعامل مع الأموات من طرق الدفن ووضعياته،إلى جانب الأثاث الجنائزي ،والمعالم الجنائزية:

([1]) Cintas (p" le sanctuaire punique de Sousse", R, af n°410-411, (1947), p p 14 -19.

(3) : Le glay (M), Sat. Afr, Hist, Paris, 1966, p.65, , p.334-335

([3]): Gsell (st), H.A.A.N, T4, p427.

([4]) : Février (J g), Essai de reconstitution du sacrifice du molk, J a N°248, p183.

([5]) : Bertrandy (f) et Sznycer (m) ;"les stèles puniques de Constantine" , note et document du musées de France n°14,(1987),p14.

هندسة المعالم الجنائزية :

كشفت الأبحاث الأثرية عن انتشار قبور ذات الطابع القرطاجي في كل من إيجيجلي و يول وغيرها من المدن الواقعة في مجال التأثير القرطاجي[1]،تؤرخ بالفترة الأخيرة من تاريخ قرطاجة،وبداية فترة الاحتلال الروماني ،وتتمثل هذه القبور عموما في سراديب تختلف في العمق والتصميم الداخلي،إذ تأخذ القبور القرطاجية شكل طوابق يقدر عمقها بسبعة و عشرين مترا في حين تزود القبور النوميدية بحفر على الحواف ولا يتجاوز عمقها ثلاثة أمتار ما يسمح بدفن الموتى فيها [2].

توضع على قبور الطرفين شواهد صخرية،كما يستعمل الطلاء الأحمر في طلاء عظام و جماجم الأموات وأحيانا التوابيت الخشبية وفي زخرفة التوابيت،وهي عادة ليبية عرفت انتشارا في الساحل القرطاجي .

أما عن القبور الضخمة،فتؤكد العديد من الدراسات عن وجود علاقة بين العمارة الجنائزية القرطاجية و الليبية،وذلك راجع إلى تأثر القرطاجيين بفن الهندسة الجنائزية الليبية وساهمت الاكتشافات الأثرية التي أجريت في موقع شمتو من الكشف عن ذلك حيث أكد المختصين على تطور تصميم الدولمن القرطاجي إلى ما يشبه البازية الليبية ،فالدولمن يكون مفتوح المدخل وقائم على ثلاثة صفائح حجرية تعلوها رابعة ويفتقر إلى أثاث جنائزي البازينة المحلية الأصل،وهي قبر دائري مبني بالحجارة الكبيرة،وتتكون من رواق وغرفة للميت[3] يحتوي على أثاث جنائزي متمثل أساسا في كل الأدوات التي يمكن للميت حسب اعتقادهم أن يستفيد منها في حياته الأخرى كالأواني الفخارية والزجاجية[4]،كما احتوت القبور في العديد من الأحيان على بقايا حيوانية و نباتية ،وهو ما يفند النظرية التي تقول بتأثير الفينيقيين في مجال بناء الأضرحة الضخمة.

---

(1) : Berthradez (j), "Survivance du culte de Baal et Tanite au 1er siècle de l'ère chrétienne", Lybica, T3 ,1er semestre ;(1957), p p 254-255.

(2) : Berthradez (j),op cit, p255.

(3) :بورنية الشاذلي ومحمد الطاهر ، المرجع السابق ، ص 211.

(4): Gsell (st) ,H.A.A.N ,T.4 ,p135.

وضعيات الدفن :

ساهمت الأبحاث الأثرية في هذه المدافن المختلفة من اكتشاف وضعيات وطرق عديدة للدفن،إشترك فيها القرطاجيون و الليبيون ،ومنها :

الوضعية الممددة :يمدد الميت على ظهره وأحيانا على جانبه الأيمن و الأيسر،وتضم يديه إلى صدره ،أما عن توجيه الميت،فهو يختلف من قبر إلى أخر ،ويؤكد المختصون أن هذه الطريقة في الدفن هي طريقة محلية محضة تعود إلى فترة فجر التاريخ كما هو عليه الحال في عديد قبور البازينة المنتشرة في شمال و جنوب الجزائر[1] .

الوضعية المنطوية: يتم فيها وضع الميت على أحد جانبيه،وتطوى رجليه بحيث تصبح أقرب إلى الذقن و تأخذ شكل القرفصاء وأرجع الباحثون هذه الطريقة إلى أصول محلية مستدلين في ذلك بممارستها من طرف الإنسان القفصي،كما أشار هيرودوت في القرن الخامس ق.م أن النسامون يمنعون الشخص المحتضر من أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو مستلقي بهدف دفنه بهذه الطريقة[2].

أما بالنسبة للعلاقات الثقافية فان الشيء القليل الذي وصلنا في هذا المجال ينحصر في البقايا الأثرية المتعلقة باللغة البونيقية،ذلك انه لم نعثر في كتابات المؤرخين القدماء إلى إشارات إلى هذا المجال.

يرى بعض المختصين أن اللغة البونيقية هي نتيجة تفاعل حضاري و إمتزاج بين اللغتين الليبية و القرطاجية المتطورة عن الفنيقية حيث يؤكد علماء اللغة واللسانيات أن لغة القرطاجيين عرفت تحولات عميقة ،إذ دخلتها تعابير و تراكيب لغوية ليبية نتج عنها ظهور لغة جديدة عرفت باللغة البونيقية ،وامتدت إلى باقي المستوطنات القرطاجية في حوض المتوسط .

إنتشرت الكتابة البونيقية والبونيقية الجديدة على نطاق واسع في المناطق الواقعة ضمن نطاق التأثير القرطاجي وخاصة المدن الشرقية المتاخمة لها باعتبارها مراكز إشعاع حضارية كسيرتا التي تلي قرطاجة مباشرة في عدد النقوش و الكتابات المكتشفة متفوقة في ذلك على عديد المدن القرطاجية على غرار

(1) ;Gsell (st), H.A.A.N, T.1, p270.

(2) : Herodote, IV,190.

هدروموتوم[1]،وإمتد مجال استعمال اللغة البونيقية إلى المناطق الداخلية ولكن بنسبة أقل بواسطة المرتزقة والتجار إضافة إلى تأثير المستوطنات القرطاجية الممتدة على طول السرتين و نوميديا و موريطانيا ،ويجد الباحث مشكلة في فحص و حصر جميع هذه النقوش بسبب عدم جمعها في مدونة خاصة ،إذ نجدها متفرقة في عديد المجلات و الكتب المتخصصة في منطقة حوض المتوسط .

مجالات استعمال اللغة البونيقية في ليبيا :

إنتشرت اللغة البونيقية على نطاق واسع في نوميديا ويدل على ذلك كثرة النقوش والكتابات التي عثر عليها في مواقع مختلفة على غرار تبر سوق[2]والحفرة و تبسة (Théveste) و خاصة العاصمة سيرتا [3]، وكانت اللغة البونيقية لغة الإدارة و التجارة في نوميديا فقد استعملها الملوك لتدوين أسماءهم و صفاتهم الملكية على نقودهم ،حيث عثر على نقود تحمل كتابات بونيقية تعود إلى عهد غايا سيفاكس(Syphax) ماسينيسا(Massinissa) و إبنه فرمينا (vermina) و الملكين يوبا(Juba) الأول و الثاني[4] واستعمل النوميديون الكتابة البونيقية على أضرحتهم كما يشير إلى ذلك النقش المزدوج البونيقي الليبي الذي عثر عليه في ثوقة والموجه لماسينيسا ،وجاء فيه "شيد سكان ثوقة هذا المعبد للملك ماسينيسا بن غايا بن السوفيت بن زلا لسان و ذلك في السنة العاشرة لحكم مسيبسا..... "

لم يقتصر استعمال اللغة البونيقية على الطبقة الحاكمة إنما امتدت لتشمل العامة كذلك مقتدين في ذلك بملوكهم فكتبوا بها فوق الأنصاب النذرية الموجهة للتقرب من الآلهة البونية ،حيث كشفت الشواهد الأثرية عن استعمال هذه اللغة في أغلب النذور الموجهة للإلهين بعل حامون وتانيت في معبد الحفرة بسيرتا[5]وغيرها من المناطق،واستمر إستعمال اللغة البونية فوق الأنصاب الموجهة لهذين الإلهين بعد سقوط قرطاجة ،حيث عثر على مجموعة من الأنصاب النذرية

---

(1) : Berthier (a) et charlier (A), le sanctuaire punique d'El hofra à Constantine, arts et métier graphique, (paris ,1955), p 590-595.

(2) :مدينة تقع على بعد 100 كلم عن العاصمة التونسية .

(3) : Berthier (a) et Charlie (a), op cit, p p590-595.

(4):Albertini (e) et marçais (g) et Yver (g) ,op cit ,p 45.

(5):Leglay (M), Sat.Afr.Mon, t.I, p434

في معبد الحفرة ومكثر وقالمة و هيبو – ريجيوس كلها تحمل نقوشا بونية جديدة[1]،وإستمرت اللغة البونية في التداول في أوساط الليبيين حتى بعد تهديم قرطاجة ، وأشار القديس أغسطين في القرن الخامس للميلاد أن سكان الريف يتحدثون البونية.

تطورت المبادلات التجارية بين القرطاجيين و الليبيين لتشمل جميع مناحي الحياة و نتج عن إلتقاء التأثيرات الحضارية الفنيقية و الليبية أن ظهرت حضارة جديدة عرفت عند المؤرخين بالحضارة البونية وامتدت هذه الأخيرة و اتسعت عن طريق قرطاجة إلى باقي مناطق شمال إفريقيا ،وكان تأثيرها قويا في المناطق الشرقية،التي شهدت ظهور مدن متأثرة بالحضارة البونيقية كسيرتا و مكثر وغيرها .

---

(1):Leglay (M), Sat.Af.His, p.56